جامعة البصرة

كلية الآداب

منهاج اللغة العربية لغير الاختصاص

أم د. عبدالرزاق رحيم الحربي

علم البلاغة

تعودُ كلمة البلاغة إلى المادّة اللّغويّة (بَلُغ)، فبَلُغَ الشّيء: أي وصل وانتهى إليه وشخصٌ بليغ: أي فصيح اللّسان، وحَسَنُ البيان أمّا البلاغة في اصطلاح اللّغة كما عرّفها القزوينيّ في كتابه (الإيضاح في علوم البلاغة) هي: "مُطابقة الكلام لمُقتضى حال السّامعين مع فصاحته"، كما أشار ابن الأثير في كتابه (أدب الكاتب والشّاعر) إلى أنّ الكلام البليغ سُمّي بذلك؛ لِما يحمله من الأوصاف اللّفظيّة، والمعنويّة، فالبلاغة تشمل المعاني لا الألفاظ فقط، كذلك عرّفها الرّمانيّ في كتابه (النّكت في إعجاز القُرآن) بأنّها استخدام أحسن الصّور من الألفاظ لإيصال المعنى وتوثيقه في قلب المُتلقّي.

أهميّة علم البلاغة

ـــــــــــــــ: إنّ أهمية علم البلاغة العربيّة استُنبطت من القرآن الكريم لفهم حلاوة معانيه، ومقاصده، وبيان أسراره، وأحكامه، وأخباره، وتفسير آياته الكريمة ومعرفة ما فيها من براعة وعذوبة في اللفظ والتركيب البلاغيّة، فهذا العلم يُعتبر الوسيلة المناسبة لمعرفة إعجاز القرآن الكريم، لذلك يؤدي الإغفال عنه إلى عدم إدراك إعجاز النظم القرآنيّ، وبالتالي لا بدَّ من الإلمام بقواعد علم البلاغة التي تجعل الإنسان فصيحًا ومتكلّمًا بلسان بليغ

نشأة علم البلاغة.

ـــــــــــــــ مرّ علم البلاغة بمراحل ثلاث أثناء تطوّره عبر الأزمان، فكانت أولّها مرحلة النّشأة بمصاحبة العلوم الأخرى بجانبه، ثمّ مرحلة تكامله مع هذه العلوم، وحتّى الوصول إلى المرحلة الأخيرة التي تفرّد فيها علم البلاغة مع استقراره عن العلوم الأخرى، وعند العودة إلى نشأة هذا العلم يجب التّركيز على أنّ علم البلاغة لم يملك وُجوداً واضحاً بين العلوم الأُخرى، إنّما كان على هيئة أفكار، ومُلاحظات ضمن المُؤلّفات التي وجدت حينها،[٥] ومن الجدير بالذِّكر أنّ نشأة علم البلاغة في المشرق تفوّق على نشأته في المغرب-بحسب ما ذُكر في كتاب العِبر لابن خلدون-، كما أورد مُعلّلاً ذلك أنّ من توافر في بلادهم العُمران، كانوا للعلوم اللّسانيّة والصّنائع الكماليّة أقْوَم وأكثر قُدرة، وكان أهل المشرق حينها أكثر عمراناً من المغرب يجب الإشارة إلى أنّ ابن خلدون ذكر في كتابه (العِبر) أنّ علم البلاغة الحاليّ بأقسامه الثّلاثة: (عِلم المعاني، وعِلم البيان، وعِلم البديع) هو التّصنيف الحديث لهذا العلم، كما ذكر بأنّ أهل اللّغة قديماً لم يذكروا "علم البيان" ضمن علوم البلاغة عندما وضعوه، وهذا ما دعى علماء اللّغة المُحدِثين لاحقاً إلى تسميته بـ"علم البيان"، وفيما يلي استعراض لأهمّ الأحداث الحاصلة في نشأة علم البلاغة في المشرق والمغرب

نشأة علم البلاغة عند المشارقة

أشار ابن خلدون في العِبر إلى أنّ البدايات التي شهدها أهل المشرق لتطوير علم البلاغة كانت عندما كتب (جعفر بن يحيى) كتابه (نقد الشِّعر)، وكان قد تحدّث فيه عن علم البلاغة، ثمّ تلاه (الجاحظ)، وهو المُلقّب بـ"زعيم البيان العربيّ" -على حدِّ قول عبد العزيز عرفة- في كتابه

(تاريخ نشاة البلاغة العربيّة وتطوّرها)، كما نَسَبَ الأديبُ طه حسين تأسيس علم البيان العربيّ له، ومُشيراً بذلك إلى كتابه الضّخم (البيان والتّبيين)، الذي استطاع فيه أن يصف العرب وحالتهم مع البيان العربيّ في فترة القرن الثّاني، مع نصف القرن الثّالث الهجريّ، ليُعطي بذلك صُوراً مُتكاملة عن نشأة البيان العربيّمن الجدير بالذكر أنّ ابن خلدون ذكر في كتابه العِبر أنّه وُجِدَ بعد جعفر، والجاحظ العديد من العلماء الذين كتبوا مجموعة من المُلاحظات حول علم البلاغة، ثمّ بدأت آفاق الفنّ تظهر في هذا العلم شيئاً فشيئاً، حتّى أتى (السّكاسكيّ) والذي اعتُبِر ثالث المُؤسّسين لعلم البلاغة، بعد (عبد القاهر الجرجانيّ، والزّمخشريّ)؛ لِما قام به من تهذيب للمسائل المُتعلّقة فيه، مع قيامه بترتيب أبوابه، لدرجة جعلت منه كتاباً لا يَنقصه شيء، فلا يحتاج إلى زيادات بعده، فما كان لمن أتى بعده من عُلماء إلّا أن يدور كلامهم حول ما كتب وصنّف السّكاسكيّ.[٦] فكان كتاب السّكاسكيّ (مفتاح العُلوم)[٧] مرجعاً للعُلماء المُتأخّرين من بعده، ومن الشُّروحات التي أخذت منه

- كتاب التّبيان، لصاحبه الزّملكانيّ.
- كتاب المصباح، لصاحبه ابن مالك.
- كتاب الإيضاح والتّلخيص، لصاحبه جلال الدِّين القزوينيّ.
- كتاب المُطوّل، لصاحبه سعد الدِّين التّفتازانيّ.
- كتاب الطّراز، لصاحبه يحيى العلويّ.

نشأة علم البلاغة عند المغاربة:كانت عناية المغاربة بعلم البلاغة -كما ذكر ابن خلدون في العِبر- مُختصّة بعلم البديع، الذي هو أحد أجزاء عِلم البلاغة، كما حرصوا على إدخاله في الأدب الشِّعريّ، وإيجاد فروع وأبواب له، ممّا جعلهم يرون أنّهم أحصوها جميعاً، ومن الجدير بالذِّكر أنّ اهتمامهم بزخرفة المُفردات، واستسهالهم عِلم البديع هو ما جعلهم يميلون إليه، وهذا رأي بن خلدون، فهو يرى أنّهم ابتعدوا عن صُنوف البلاغة الأخرى؛ لما فيه من دقّة، وغُموض، ولم يكتفِ ابن خلدون بذلك، فذكر أمثلة يُعلِّل فيها سبب توجّه المغاربة إلى علم البديع دون عِلميّ المعاني والبيان، ويذكرُ المُؤلّفين ومنهم (ابن رشيق القيروانيّ) صاحب كتاب (العمدة في علوم البلاغة)، ومُشيراً إلى أنّ أهل المغرب والأندلُس أخذوا من هذا الكتاب